جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
EISSN: 2588-2384،ISSN: 1112-4377
المجلد: 29 العدد 03 السنة 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

نظرية الطّراز العرفانية و أثرها في دراسة المعنى

The Cognitive Prototype Theory and its Impact on the Study of Meaning

سميرة رجم[1]
samira.redjem@umc.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2025/01/30 تاريخ النشر: 2025/06/01
Received: 30/01/2025 published: 01/06/2025

ملخص المقال:

تندرج هذه الدّراسة في إطار علم الدّلالة العرفانيّ، وتهدف إلى تسليط الضّوء على نظريّة الطّراز العرفانية بشقّيها الأصلية والموسّعة، وإبراز أثرهما في دراسة المعنى، وذلك باتّباع خطة بحث تنطلق من توضيح مفهوم علم دلالة الطّراز، مرورا بنظريّة الطّراز والمفاهيم التي رافقتها وهي: الطّراز، والمقولة مع التّركيز على التّغييرات التي أحدثاها في علم الدّلالة ومعالجة المعنى، بالإضافة إلى التّشابه الأسريّ الذي قام بثورة في نظريّة المقولة وأسّس لنظريّة الطّراز، وصولا إلى نظريّة الطّراز الأصليّة والنّظريّة الموسّعة اللّتين أسهمتا في تخليص الدّراسات الدّلاليّة من القيود البنيوية والمنطقية الصّارمة، ومهّدتا الطّريق نحو انفتاح معنى اللّفظة إلى ما لا يكاد يحدّ من المعاني، ودراسة التّرادف والمشترك اللّفظيّ.

كلمات مفتاحية: علم دلالة الطّراز، الطّراز، المقولة، النظرية الأصلية، النظرية الموسعة.

Abstract:

This paper operates within the domain of cognitive semantics, aiming to elucidate the Cognitive Prototype Theory and its consequential implications for meaning analysis. Beginning with a delineation of prototype and categorization theories, the study navigates through the domain of family resemblance, which triggered a paradigm shift within categorization theory and laid the foundation for the formulation of the Cognitive Prototype Theory. Subsequently, an examination unfolds into both the original and idealized models of the theory, playing a crucial role in liberating semantic inquiries from restrictive structuralist and logical confines. This emancipation, in turn, facilitated an unencumbered exploration into meaning and the study of polysemy.

Keywords: *Prototype semantics*; *Prototype*; *Category*; *Original Model*; *Idealized Model*

(1) جامعة قسنطينة 1 الإخوة منتوري (الجزائر)

مقدمة:

ظهر علم الدّلالة العرفاني تأثّرا بالعلوم العرفانية التي اهتمّت بدراسة كيفية حدوث العمليات الذهنية داخل الدّماغ البشري، وثورة على علم الدّلالة البنيوي القائم على مركزيّة الإعراب في دراسة العلاقة بين اللّفظ والمعنى، ودعا إلى دراسة التّصوّرات والعمليات الذهنية المؤسّسة للتّراكيب اللّغويّة.

وتعدّ نظريّة الطّراز بشقّيها الأصليّة والموسّعة من أهمّ نظريات علم الدّلالة العرفانيّ التي غيّرت مسار دراسة المعنى، وخلّصته من القيود البنيويّة والشّروط المنطقيّة الصّارمة؛ وذلك بدراستها لنظرية الطّراز المبنية على التّشابه الأسري، من هنا جاءت هذه الدّراسة لتسلّط الضّوء على نظريّة الطّراز العرفانية وكيفيّة معالجتها للمعنى، وتهدف إلى التّعريف بعلم الدّلالة العرفانيّ ونظريّة الطّراز وتوضيح أثرها في دراسة المعنى، وتحاول الإجابة عن إشكاليّة أساسية نصوغها في التّساؤل الآتي: ما هو أثر نظريّة الطّراز العرفانية في دراسة المعنى؟

ويروم البحث إلى التأكّد من صحّة الفرضيّة الآتية:

- أدّى اعتماد علم الدلالة العرفانيّ على نظريّة الطّراز في دراسة المعنى إلى توسيع معاني المفردات وانفتاحها، وفسح المجال نحو دراسة التّرادف والمشترك اللّفظيّ. وتخليصها من الدراسات الدّلاليّة المنطقية والبنيويّة الصّارمة التي قيّدت المعنى وجعلته محدودا.

ولغرض التّحقّق من فرضية البحث والإجابة عن إشكاليته، فقد تضمّن ثلاثة محاور أساسيّة، يتناول المحور الأوّل التّعريف بعلم الدّلالة العرفانيّ، أمّا المحور الثّاني فيستعرض نظريّة الطّراز ويوضّح مفاهيم الطّراز والمقولة والتّشابه الأسريّ وأثرها في تغيير مسار الدّراسات الدّلاليّة، أمّا المحور الثّالث فيتحدّث عن أهميّة نظريّة الطّراز الأصليّة والنّظرية الموسّعة، في دراسة المعنى. واقتضت طبيعة البحث اتّباع المنهج الوصفي التّحليليّ لمعالجة هذه المحاور كما يأتي:

2. علم الدلالة العرفاني

كان للعلوم العرفانية (cognitive science) دور أساسيّ في ظهور اللّسانيات العرفانيّة (cognitive linguistiques)، وعلم الدّلالة العرفاني (cognitive Sémantics)، ويعرّف الزنّاد العلوم العرفانية بقوله: «جملة من العلوم تدرس اشتغال الذّهن و الذّكاء دراسة أساسها تضافر الاختصاصات تساهم فيها الفلسفة و علم النفس و الذّكاء الاصطناعيّ و علوم الأعصاب (علوم الدّماغ) واللّسانيات و الأنثروبولوجيا» (الزناد، 2010، صفحة15). وعليه فإنّ العلوم العرفانية هي مجموعة من الاختصاصات المختلفة يجمعها هدف واحد هو دراسة كيفيّة اشتغال الذّهن البشريّ.

وفي هذا الإطار نشأ علم الدّلالة العرفانيّ، أو ما يسمّى بعلم دلالة الطّراز (Prototype semantics)، بالاستناد إلى النّموذج الطّرازيّ للمقولة الذي جاءت به عالمة النّفس "إليانور روش" (Eleanor Rosch)، واعتمده بعدها مجموعة من اللّسانيين أمثال: لايكوف، وجونسون، وتيرنر، ولانقايكر وغيرهم، في أبحاثهم حول تحليل المعنى وتجلّياته في مختلف المستويات اللّغوية.(البوعمراني، 2009، صفحة 07)

وجاء علم الدّلالة العرفانيّ كردّة فعل على النّظريات اللّسانية البنيويّة التي درست المعنى دراسة بنيوية وركّزت على دراسة التّراكيب على حساب المعنى، وهو ما يعرف بمركزيّة التّركيب، وفي هذا الشّأن يقول "صلاح الدين الشّريف" (بن غريبة، 2010، صفحة 09) و(الصفاقصي، 2015، صفحة96): «فإنّ الشرخ الذي أحدثه التوليديّون الدلاليّون بانفصالهم عن النظريّة المعياريّة ازداد اتّساعا بظهور نظريّات عرفانيّة أخرى لا تقوم على مفهوم مركزيّة التركيب الإعرابيّ في الرّبط بين اللّفظ والمعنى، بل تقوم على اعتبار الدّلالة أو التصوّرات والعمليّات الذّهنيّة، أساس الأبنية اللّفظيّة سواء أكانت صوتيّة أو صرفيّة معجميّة أم كانت إعرابيّة أو تداوليّة»، وعليه فإنّ علم الدلالة العرفانيّ يدرس المعنى باعتباره مجموعة من العمليات الذّهنية التي تتحكّم في تشكيل بنية اللّغة في مستوياتها المختلفة الصّوتية والصّرفية والنّحوية والمعجميّة والتّداولية.

ويرى "البوعمرانيّ" (2009 صفحة 08) أنّ علم الدّلالة العرفانيّ يدرس المعنى انطلاقا من أربعة مداخل أساسية، وهي كما يأتي:

- المقولة: فالمقولة هي من تأسّس لكل العمليات الإدراكية، وتسيّر النّشاط الذّهنيّ واللّغويّ للإنسان، فالسّؤال حول الانتماء إلى المقولة، أو على أيّ أساس يتحدّد انتماء عنصر ما إلى مقولة ما؟ هو المسؤول عن تحديد طبيعة إدراكنا للعالم ولذواتنا، وتحديدنا للمعنى. وسنتطرّق إلى مفهوم المقولة بشيء من التّفصيل فيما سيأتي من هذا البحث.
- الفهم: درس العرفانيّون الفهم انطلاقا من رؤية إنسانية نسبية تتجاوز الرّؤية الإلهية المطلقة التي تتضمّن الحقائق المطلقة، وهذا ما يوافق رؤية النّظريّات الموضوعية "للفهم"، والتي تعتبره أمرا موضوعيّا بطبعه، خارج عن الذّات البشريّة وموجود سلفا قبل الوعي البشريّ به (البوعمراني، 2009، صفحة 08). فالمعنى موجود من قبل في كلّ الأشياء وهو مكوّن طبيعي فيها، ونحن نقوم فقط بالتعرّف عليه، وعلى الرّغم من أنّ معرفة هذا المعنى تختلف من شخص لآخر، إلاّ أنّ هذا الاختلاف لا يغيّر من معنى الأشياء لأنّ وجوده فيها سابق لفهمنا، والتغيير يوجد فقط على مستوى فهمنا، حيث يمكن أن نفهم المعنى الحقيقي لها أو لا نفهمه. (أحمد، 2014، صفحة 55)
- الخيال: فالخيال عند "العرفانيين" يمثّل أساس التّفكير والمعنى، وينبني عليه جزء كبير من النظام التصوريّ للإنسان، فمن خلال بنية المتخيّل يحاول الناس فهم العالم الذي يحيط بهم وإدراكه حتى يتمكنوا من التّفاهم والتّخاطب فيما بينهم. ومن أهمّ مباحث الخيال، مبحث الاستعارة الذي حضي باهتمام كبير في أبحاث العرفانيين منذ صدور كتاب "لايكوف وجونسون" "الاستعارات التي نحيا بها". (البوعمراني، 2009، صفحة 08)
- المعنى المتجسّد: فلا يمكن وجود المعنى والخيال بعيدا عن الجسد، إذ إنّ إدراكنا للعالم وفهم ما يحيط بنا يتمّ من خلال حضورنا الجسديّ في الزّمان والمكان (البوعمراني، 2009، صفحة 08). وكان الفكر الكلاسيكي ينظر إلى العقل نظرة تجريدية صرفة جعلته في قطيعة تامّة مع كلّ ما هو ماديّ بما في ذلك الجسد، ويعتبر أنّ الفكر متعال يتجاوز حدود المادّة والجسد، أمّا الفكر العرفانيّ الحديث فيقوم على عكس ذلك، معتبرا أنّ العقل يقوم على أسس جسديّة، فأصبح الجسد المفكّر والطرق والأدوات التي يتّبعها في التعايش مع المحيط مدار اهتمام المباحث العرفانية. (الزناد، 2010، صفحة 184)

وهكذا يتضح لنا أنّ علم الدلالة العرفانيّ يختصّ بدراسة العمليات والتّصوّرات الذهنيّة المتمثّلة أساسا في المقولة والخيال والفهم والتجسّد باعتبارها ركائز أساسيّة يتمّ لنا من خلالها إدراك المعنى وفهم كلّ ما يحيط بنا.

3. الطّراز والمقولة

1.3 الطّراز:

إنّ مصطلح الطّراز هو المقابل العربيّ للمصطلح العرفاني الأجنبيّ (prototype)، وأصله من اليونانية يتركّب من protos بمعنى الأوّل، و Topos بمعنى النّمط، فهو النّمط الأوّل (صولة، 2002، صفحة 369)، أمّا المصطلح العربيّ فينحدر من الجذر اللّغويّ "طرز" وأورد "لسان العرب" (ابن منظور، مج5، صفحة 368) أنّ «الطّرز والطِّراز: الجيد من كل شيء»، ونلاحظ تقاربا للمعنى اللّغويّ في المعاجم العربيّة مع معنى المصطلح الأجنبي باعتباره النّمط الأوّل.

والطّراز، في إطار علم النفس العرفانيّ واللّسانيات العرفانيّة، هو أفضل عنصر يمثّل المقولة، وذلك باشتماله على أبرز الخصائص التي تميز كل عناصرها الأخرى، وبمعنى آخر فإنّ الطّراز يعتبر نموذجا للمقولة، فمثلا يمكن أن نعتبر النّسر طرازا لمقولة الطّير لاشتماله على أبرز مميزات أفرادها. (صولة، 2002، صفحة 369)

تأسيسا على ما سبق ذكره، فإنّ الطّراز هو العنصر البارز في المقولة والذي تجتمع فيه أبرز الخصائص التي تميّز بقيّة عناصرها.

2.3 المقولة:(Category)

يعرّف "عبد الله صولة" (صولة، 2002، صفحة 371) المقولة بقوله: «تتمثل المقْولة في أن نضع في خانة واحدة أشياء تجمع بينها روابط معيّنة. إنّ المقْولة نشاط ذهنيّ يكون في معظم الأحيان عن غير وَعْي مِنّا. فالإنسان يكتَسب المعرفة وينظّمها بواسطة المقْولة ويفهم العالم والنّاس والأفكار بواسطتها أيضا وهو كلّما تراءى له شيء على هيئة شيء آخر عُدَّ ذلك منه مقْولة، وتكون المقولات عادة موسومة بأسماء مثل: كلب حيوان.»، فالمقولة هي عبارة عن نشاط ذهنيّ أو عملية ذهنية تقوم على تصنيف أشياء مختلفة ضمن فئة تجمعها، وعندما نعدّ شيئا ما ينتمي إلى نوع من الأنواع فإنّنا نقوم بعملية المقولة. (البوعمراني، 2009، صفحة 13)

ما يمكن استنتاجه مما سبق ذكره حول مفهوم المقولة أنّها عمليّة ذهنيّة غير واعية، يقوم بها الإنسان أثناء تعايشه مع العالم المحيط به، وفي كلّ نشاطاته الحياتيّة، وهي عبارة عن تجميع لمجموعة من الأشياء ذات علاقات معيّة في خانة واحدة تسمى باسم معيّن.

وكان الفكر الأرسطي يحكم المقولة في مجال علم النّفس وعلم الدلالة الموضوعيّ، وجعلها تقوم على منوال الشّروط الضّرورية والكافية (Condition nécessaires et suffisantes) ويختصر ب (C.N.S)، بحيث تتأسّس على الخصائص المشتركة بين مجموعة من العناصر (كليبر، 2013، صفحة 39)، فمثلا لكي ينتمي عنصر ما إلى مقولة الطّير فيجب أن تتوفّر فيه مجموعة من الخصائص التي يشترك فيها مع بقية عناصر هذه المقولة بأن يكون حيوانا، بائضا، وله منقار، وإن لم تتوفر فيه إحدى هذه الشّروط عدّ خارج مقولة الطّير. (صولة، 2002، صفحة 371)

إلاّ أنّ ظهور مفهوم "التّشابه الأسريّ" علي يد الفيلسوف "فيتغنشتاين" (L.Wittgenstein) أحدث ثورة على هذه النّظرية الكلاسيكية، وقال إنّه ليس بالضّرورة أن تجتمع عناصر المقولة بناء على الشّروط الضّرورية والكافية، وإنّما تترابط معا عن طريق التّشابه الأسريّ (Family resemblance).

وشرح "فيتغنشتاين" مفهوم التّشابه الأسريّ عن طريق مقولة الألعاب، فليس هنالك خاصيات مشتركة بين كل الألعاب داخل المقولة، ولكن هناك شبه بينها، فكل مجموعة من الألعاب تشبه مجموعة أخرى في صفات معيّنة، ولا تشترك مع مجموعة ثالثة في هذه الصّفات لكنها تشبهها في صفات أخرى وهكذا، فمثلا لعبة الشطرنج تشترك مع لعبة الدومينو في خاصيّتي التّنافس والمهارة، في حين أنّ الشّطرج والبوكر تشتركان في خاصيّة المنافسة ،وهذا التّشابه الحاصل بين عناصر مقولة اللّعب يشبه تماما التّشابه الأسريّ القائم بين أفراد الأسرة الواحدة؛ حيث يشترك كلّ فرد من أفرادها مع فرد آخر في صفة واحدة على الأقلّ، مثل لون العينين، أو تقاسيم الوجه، أو بنية الجسم، أو المزاج... (فتغنشتاين، 2007، صفحة 170-171)

من هنا نقلت الباحثة " إليانور روش" ورفاقها مفهوم التّشابه الأسريّ من علم النّفس إلى اللّسانيات العرفانية، وقاموا، بناء عليه، بثورة على نظام المقولة الكلاسيكي القائم على منوال الشّروط الضّروريّة والكافية، وأسّسوا نظريّة الطّراز (البوعمراني، 2009، صفحة 64)، وقالوا إنّ الإنسان لا يدرك الأشياء مجزّأة إلى مجموعة من الخصائص بل يدركها في صورتها الكليّة، ويصنّف الأشياء على أساس وجوه شبه إجمالية تتقاسمها، وعليه فإنّ المقولة تقوم على المشابهة والتّأليف، وتردّ هذه المشابهة إلى محور أساسيّ هو الطّراز. (صولة، 2002، صفحة 372)

إنّ اعتماد علم دلالة الطّراز على الطّراز كمحور تقوم عليه المقولة قد مكّنه من توسيع معنى المفردة توسيعا لا يكاد يحدّ، وهذا عكس علم الدلالة البنيويّ التّجزيئيّ الذي حصر معنى المفردة، ويمكن أن نسوق كمثال على ذلك الفرق بين المعنى البنيويّ لمقولة "كرسي" الذي يمثّله "بوتييه" (Pottier)، وبين معناه الطّرازيّ الذي يمثّله "شوارتز" (Schwarze) والذي قدّم فيها مالا يقف عند حدّ من ماصدقات كرسيّ التي بينها وبين طراز الكرسيّ علاقات شبه إجماليّة (صولة، 2001، صفحة 263-264).

ويتميّز تعريف "بوتييه" للكرسيّ بخاصيّتين على الأقل وهما: (صولة، 2001، صفحة 264).

أ-إنّه تعريف إجماليّ يقوم على مقابلة مقولة كرسيّ مع المقولات الأخرى المقابلة لها مثل أريكة (Fauteuil)، وبنك (Banc) وغيرهما. ونتيجة لهذه المقابلة أصبح للكرسيّ الصفاة الآتية:

- للجلوس: سمة مشتركة بين كل المقولات المتقابلة.
- له ضهر: تقابله مع مقولة "طابوريه" (Tabouret).
- له أرجل: تقابله مع مقولتيّ كنبة (Canapé) و"بوف" (Pouf).
- لشخص واحد: تميزه عن مقولة كنبة لعدّة أشخاص.
- بدون دراعين: تميّزه عن مقولة أريكة.

ب-إنّه تعريف بالمفهوم الحاسم الذي يقوم على السّمات التّصريحيّة (Traits dénotatifs)

في حين أنّ التّعريف الطّرازيّ ل"شوارتز" يسير عكس تعريف "بوتييه" ويتميز بكونه: (صولة، 2001، صفحة 265)

– تعريف يعتمد على التّكامل والضمّ لا على التّقابل والإقصاء، فهو ينطلق من طراز الكرسيّ وهو: له أرجل، بدون ذراعين، مصنوع من معدن صلب، وهنا يمكن ضمّ كلّ الكراسي المشابهة للطّراز إلى مقولة الكرسيّ وإن كان أحدها برجل واحدة أو له ذراعان. بعد أن كانت سمة له ذراعان عند "بوتييه" تخرجه من مقولة الكرسيّ وتدخله في مقولة الأريكة.

– وهو تعريف يعتمد على الماصدق عكس تعريف "بوتييه" الذي يعتمد على المفهوم، فيقدّم "شوارتز" ما يمكن أن يصدق عليه لفظ كرسيّ ولا يقدّمه تقديما نهائيا صارما؛ فيمكن أن ينتج عن التعريف الماصدقيّ لمعنى كرسيّ حصيلة ثرية جدا مقارنة بمفهوم كرسيّ.

إنّ أهمّ ما نلاحظه حول هذا المثال المقدّم لتعريف الكرسييّ عند كل من "بوتييه" و"شوارتز"، أنّ بوتييه اعتمد التّعريف البنيويّ الذي يقوم على منوال الشّروط الضرورية والكافية والذي حصر مفهوم الكرسيّ وضيّقه، في حين أنّ "شوارتز" اعتمد في تعريفه للكرسيّ تعريفا طرازيا؛ فهو يقوم على مرجعية ذهنية عرفانية هي الطّراز، معتمدا على الماصدق لا على المفهوم ممّا جعله يتوصّل إلى عدد لا يكاد ينتهي من المعاني للكرسيّ.

4. النّظرية الأصليّة والنّظريّة الموسّعة

تنقسم نظريّة الطّراز عند "إليانور روش " ومن معها إلى مرحلتين أساسيتين، تميّزت كلّ مرحلة بظهور نظريّة وهما على التّوالي النّظرية الأصليّة والنّظريّة الموسّعة، وسنفصّل الحديث فيهما وفي كيفية دراستهما للمعنى كما يأتي:

4. 1 النّظريّة الأصليّة: (Théorie standard)

تقوم المقولة في النّظرية الأصليّة على وجود طراز يمثّل مرجعيّة عرفانية موجودة في الذّهن، وترتّب على أساسه عناصر المقولة ترتيبا تفاضليا نظرا لشدّة مشابهتها له أو ضعفها (صولة،2002، صفحة 370)؛ فمثلا مقولة الطّير تقوم على طراز هو عبارة عن مجموعة من الصّفات الذّهنية ولنفترض أنها كما يأتي: له ريش، وله منقار، ويطير بجناحين، فإنّ عناصر المقولة ترتّب مفاضلة على أساس هذه الصّفات المجرّدة ومدى توفّرها فيها، فيكون الدّوريّ أكثر شبها لهذا الطّراز، ويكون الدّيك في مرتبة أقلّ من الدّوريّ، ويكون البطريق أكثر ضعفا في انتمائه إلى المقولة لضعف التّشابه بينه وبين طرازها.

فالمعنى في المقاربة الطّرازيّة ليس جامدا ولا يخضع لشروط صارمة كما جاء في التّحليل البنيويّ، بل هو متنوّع ومتجدّد، وهذا ما يؤكّده أحد الباحثين حيث يرى أنّ أهمّ ما ميّز المقاربة الطّرازيّة للمعنى هو عدّها معنى المفردة مقولة تشمل عناصر متعدّدة ومتنوّعة ومتجدّدة بتجدّد الواقع والأشياء والمفاهيم، وذلك عكس المقاربة البنيويّة للمعنى التي تنظر إلى معنى المفردة على أنّه مجرّد جملة من السّمات الدّلالية هي السمات الضرورية والكافية. (صولة،2001، صفحة 282)

وقدّم الباحث نفسه الطّراز باعتباره مرجعيّة ذهنية لدراسة المعاني اللّغوية على مستوى المفردات والتّراكيب ، فمثلا على مستوى المفردات نذكر:

– اعتماد الطّراز في تنظيم العلاقات التّرادفية بين عناصر المقولة: (صولة،2001، صفحة 267-268)

إذ سبق أن ذكرنا أنّ أهمّ ما جاءت به نظرية المقولة القائمة على المنوال الطّرازيّ هو جعلها لعناصر المقولة على درجات من التّفاوت في انتمائها إليها، بين شدّة وضعف، بالرّجوع إلى مدى مشابهتها للطّراز، وليست متساوية كما هو الحال مع منوال الشروط الضرورية والكافية المنطقي. ومن أشدّ الظواهر اللّغويّة حاجة إلى دراستها وفق هذه المقاربة العرفانية هي ظاهرة التّرادف

اللّغويّ، فمن المعروف في التّراث اللّغويّ العربيّ أنّ اللّغويّين العرب انقسموا إلى قسمين في معالجة هذه الظاهرة؛ فمنهم من قال بوجود التّرادف ومنهم من أنكره. وانطلاقا من المقاربة الطّرازية يمكن القول إنّ هناك ترادفا بين الألفاظ لكنّ هذا التّرادف جزئيّ لا كليّ، وهو متدرّج، باعتبار أنّ هذه الألفاظ المترادفة تنتمي إلى مقولة معينة يحكمها طراز ما، وتتفاضل الألفاظ في الانتماء إلى المقولة بالنّظر إلى شدّة مماثلتها للطّراز أو ضعفها. (صولة،2001، صفحة 267-268)

ونمثّل لذلك بمقولة الفعل "أمات" الّتي قدّمها "بولمان" وجعل مرادفاتها المنضوية تحتها متدرّجة في المعنى بالاستناد إلى الطّراز وهو الفعل "قتل"، وهي على التّوالي: (اغتال، أعدم، ذبّح، ضحّى، انتحر)؛ فالفعل أمات على درجات من التّرادف انطلاقا من الأعمّ إلى الأخصّ، يتقدّمها الفعل قتل، وهو طراز المقولة، ويعني الإماتة عمدا، ثمّ اغتال الذي يعني القتل السّياسيّ، فأعدم وهو القتل تنفيذا لحكم العدالة، فذبّح وهو القتل الجماعيّ، ثمّ ضحّى ويعني القتل فداء للنفس أو للغير، ثم انتحر ومعناه قتل الشّخص لنفسه. (صولة،2001، صفحة 269- 171)

وبناء على ما سبق ذكره يمكن القول إنّ نظريّة الطّراز الأصليّة خلّصت دراسة المعنى من المقاربة البنيويّة القائمة على منوال الشّروط الضّروريّة والكافية التي قيّدت معنى المفردة وحصرته، وجعلت عناصر المقولة متساوية، حيث اعتمدت المقاربة الطّرازيّة على مفهوم الطّراز ومبدأ التّشابه الأسريّ فأصبحت هذه العناصر متفاوتة في درجة انتمائها إلى المقولة، وأصبح معنى المفردة متجدّدا ومتنوّعا ومنفتحا لا يكاد ينتهي.

4. 2 النظرية الموسّعة: (Théorie étendue)

أعادت "روش" النّظر في تطبيقها لمبدأ التّشابه الأسريّ في النّظريّة الموسّعة؛ لتحدث قطيعة مع النّظريّة الأصل، وتتدارك المآزق التي وقعت فيها هذه النّظريّة وأهمها دراستها للمعنى المفرد وعجزها عن تفسير تعدّد المعنى داخل المقولة.

ورفضت النّظريّة الموسّعة المبدأ الذي يحكم النظرية الأصل وهو ضرورة اشتراك عناصر المقولة في خاصيّة واحدة على الأقل مع طرازها، ممّا جعل الطّراز محورا لنوع واحد من المراجع ومنع انفجار المقولة إلى مقولات فرعية يمكن أن لا يكون بينها سمة مشتركة. (البوعمراني، 2009، صفحة72)

وبذلك لم يعد يشترط في النظريّة الموسّعة أن تشترك كل عناصر المقولة مع الطّراز في خاصيّة واحدة على الأقلّ، بل يكفي أن يرتبط كل عنصر داخلها مع العنصر الذي يليه ولو في خاصيّة واحدة في سلسلة مترابطة، ولا يهم إن كان يشترك مع بقية العناصر في خصائص أخرى أم لا. ولنتأمّل، في هذا السّياق، المثال الذي قدّمه "ستيورت" (D. Stewart) لتفسير مفهوم التّشابه الأسريّ في النّظرية الموسّعة والعلاقات التي تربط عناصر المقولة في إطاره:

لنفترض أنّ الحروف أ، ب، ج، د، هـ، عناصر لمقولة ما تشير إلى مجموعة من الأشياء، حيث أ يتقاسم مع ب خاصية على الأقل، وب يتقاسم مع ج خاصية أخرى، وج ود يتقاسمان معا خاصية أخرى، ود يتقاسم مع هـ خاصية أخرى، وهنا لا نجد خاصية مشتركة بين ثلاثة من العناصر المذكورة، فالتشابه الأسريّ يتحقّق بين هذه العناصر المذكورة بموجب العلاقة التي تجمعها من نوع ترابطيّ. (كليبر، 2013، 240-241)

بالإضافة إلى ذلك، فإنّ النّظريّة الموسّعة تقوم على أساس التّشابه الأسريّ بين المعنى المركزيّ أو القاعدي (Sens basique) للمقولة وبين المعاني المشتقة منه (Sens dérivés) ولو في خاصيّة واحدة، وهذا الاشتقاق يكون على سبيل الاستعارة (المشابهة أو المجاز المرسل (المجاورة)، لتتشكّل بذلك ما تسمّى بالتأثيرات الطّرازيّة (Effets prototypiques)،

ومثال ذلك العلاقة التي تربط بين معنى عين (الجارحة) بالمعاني الأخرى التي تؤدّيها هذه اللّفظة مثل: عين الماء والجاسوس والسيّد...إلخ. وهذا ما جعل من النظرية الموسّعة نظريّة في علم الدّلالة بصفة عامّة وفي دلالة المشترك اللّفظيّ والمعنويّ بصفة خاصّة، أكثر منها نظريّة في مقولة الأشياء والمفاهيم. (صولة، 2002، صفحة 370)

ويمكن أن نلخّص أهمّ النّقاط التي تميّز النّظريّة الموسّعة عن النظريّة الأصليّة في دراستها للمعنى فيما يأتي: (صولة، 2003، صفحة 19-21)

- لا تقوم النّظرية الموسّعة على مفهوم الطّراز كما هو الشّأن في النّظرية الأصلية، بل إنّ أساس انتظام المقولة الدّلالية فيها هو مبدأ التّأثيرات الطّرازيّة، وهي عند "لايكوف" سمة تجمع بين أفراد مقولة ما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، كأن يكون المعنى المشتق (ج) في علاقة بالمعنى القاعدي (أ) من خلال المعنى (ب)، ويرى "لايكوف" أنّ مصدر هذه التّأثيرات الطّرازية هو ما يطلق عليه المنوال العرفاني المؤمثل. (الزناد، 2010، 173- 177)
- تقوم النّظرية الموسّعة على الانتشار المقوليّ من المعنى القاعدي إلى المعاني المشتقّة، وهي تختلف في ذلك مع النظرية الأصلية التي تقوم على الانتشار المقوليّ من العناصر الطّرازيّة إلى العناصر الهامشيّة كما سبق أن ذكرنا.
- لا تشترط النّظرية الموسعة، في إطار دراسة المشترك الدّلالي، أن يشترك جميع أفراد المقولة في سمة واحدة على الأقل، وإنّما يمكن للمعاني التي يفيدها اللّفظ الواحد أن تشكّل حلقات قد لا تكون للحلقة الأولى علاقة مع الحلقة الأخيرة، وذلك بالاستناد إلى التّشابه الأسريّ، وهذا ما تتفرّد به في دراسة المشترك اللّفظيّ.
- لا تحتاج النّظرية الموسّعة، إلى العودة إلى آراء المتكلّمين لتحديد المعنى القاعدي، وذلك عكس النظرية الأصلية التي تحتاج إلى إجماع المتكلّمين على تعيين عنصر ما لمقولة ما، فهناك قواعد عرفانية عامة تتحكّم في تحديد هذا المعنى الذي يكون مصدرا للتأثيرات الطّرازيّة للمعاني المشتركة في اللّفظ.

وحاول "عبد الله صولة" تحديد بعض من هذه القواعد العرفانية، حيث نقل عن "كليبر" (Kleiber) ثلاثة مبادئ للبروز العرفانيّ الذي تتمتع به بعض الكيانات وهي كما يأتي: (صولة، 2003، صفحة 22)

1- أنّ الإنسان (وبدرجة أقل الحيوان) يكون أشدّ بروزا مما هو ليس بكائن حيّ.

فالمعنى المتعلّق بالإنسان يكون أشدّ بروزا من المعاني المتعلّقة بغيره في مقولة معيّنة إذا كان بينهم مشترك دلاليّ، بمعنى أنّ المعنى المتعلّق بالإنسان يكون المعنى القاعديّ وغيره من المعاني مشتقّة، ومنها استعمال أجزاء من جسم الإنسان في المشترك الدّلاليّ مثل الرّأس، والصّدر والقلب، مثلا: (صولة، 2003، صفحة 23-24).

- الرّأس
- رأس الجمل
- رأس العصابة.
- رأس القائمة.
- رأس الجماعة.
- رأس المشكلة
- رأس الفتنة...

- الصّدر:
- صدر المجلس.
- صدر الجماعة.
- صدر الكتاب.
- لنا الصّدر دون الجماعة...
- القلب:
- قلب الغابة
- قلب الرّحى.
- قلب السيّارة.
- قلب اللّيل.
- قلب المعركة.
- قلب المشكلة...

فالرّأس، والصّدر، والقلب، تمثّل، باعتبارها جزءا من جسم الإنسان، المعنى القاعدي وباقي المعاني التي تدلّ عليها كلّ من هذه الكلمات تعدّ معان مشتقّة.

2- أنّ الكلّ هو في العادة أشدّ بروزا من الأجزاء. فلنلاحظ الأمثلة التّالية:

- ركب دابّته. (المقصود حماره).
- لا أحبّ الكلاب. (في جواب عن سؤال: هل لك في هذا البلدغ؟).
- لا أحبّ لحم الطّير. (في جواب عن سؤال: هل تحبّ لحم الدّجاج؟).(صولة، 2003، صفحة 27-28)

ففي كلّ هذه الأمثلة تشكّل الألفاظ : (دابّة، كلاب، طير) المستعملة، المعنى القاعدي، لأنّها تشكّل كلاّ بالنّسبة إلى الألفاظ التي كان ينبغي أن تستعمل (الحمار، البولدغ، الدّجاج) وهي الجزء، أي المعاني المشتقّة.

3- أنّ الكيانات الفيزيائية المنفصلة تكون عادة أشدّ بروزا من الكيانات المجرّدة.

إذ يمكن أن نعتبر الاستعمالات المتعلّقة بأشياء مجرّدة معاني مشتقة من معنى قاعدي هو المعنى المتعلّق بالأشياء المادية مما يجعل الكلمة موضوع الاستعمال من المشترك مثل: يد الإنسان، يد الدّهر، يد المنون، يد الله، فيد الإنسان تحمل المعنى الفيزيائي في حين أنّ باقي معاني كلمة يد تحمل معاني مجرّدة، وبهذا تكون يد الإنسان ذات معنى قاعدي، وباقي المعاني معان مشتقّة، وحين تتعدد إمكانيات استخدام الأشياء الفيزيائية داخل جدول استعمالي ما فإنّه يطبّق مبدأ الإنسان أوّلا. (صولة، 2003، صفحة 30)

ويضيف "عبد الله صولة" مبدأ عرفانيا آخر إلى هذه المبادئ الثلاثة وهو: المنوال العرفاني المؤمثل، في صورتين من صوره، الصّورة الأولى تتمثّل في المنوال العرفاني المؤمثل الشّبيه بمنوال الشّروط الضّروريّة والكافية للايكوف، والثّانية تتمثّل في النّموذج الأعلى العرفاني (Archétype cognitif) لديكليه. (صولة، 2003، صفحة 23)

وبناء على ما سبق ذكره نستنتج أنّ هناك مبادئ عرفانية مضبوطة تتحكّم في تحديد المعنى القاعدي والمعاني المشتقّة منه، في المقولة ذات العناصر التي تتميّز بالمشترك الدّلاليّ، وأنّ النّظرية الموسّعة وسّعت العلاقات بين عناصر المقولة وحرّرتها من قيود التّشابه

مع الطّراز، لتقوم على مبدأ التّأثيرات الطّرازيّة بين المعنى القاعديّ والمعاني المشتقّة منه، وهو ما سمح بدراسة دلالية أوسع وأعمق للاشتراك الدّلالي، والذي كانت النظرية الأصلية من قبل عاجزة عن دراسته.

5. خاتمة:

وختاما، فإنّ هذا البحث حاول توضيح أثر نظريّة الطّراز العرفانية في دراسة المعنى اللّغويّ، حيث تمّ، في إطاره، التطرّق إلى مفهوم علم دلالة الطّراز، ومفهوم الطّراز والمقولة والتّشابه الأسريّ باعتبارها مفاهيم أساسيّة في نظرية الطّراز، ثم استعراض نظريّتيّ الطّراز الأصليّة والموسّعة وأوجه معالجتهما للمعنى، ليخلص البحث إلى مجموعة من النّتائج نوردها في النّقاط الآتية:

- علم الدّلالة العرفانيّ نظريّة في المقولة والطّراز، فهو يدرس العمليات الذهنيّة المتحكّمة في صناعة معاني المفردات اللّغويّة. وخلّص الدراسة اللغويّة من قيود الدراسات البنيويّة التي ركّزت على مركزيّة الإعراب وجعلت الدلالة في مكانة أقل من التّراكيب.
- أدّى اعتماد نظريّة الطّراز العرفانيّة على الطّراز، المبني على نظرية التّشابه الأسريّ كأساس للمقولة، إلى توسيع معاني المفردات توسيعا يكاد لا يحدّ، وذلك عكس علم الدّلالة البنيويّ التّجزيئي الذي حصر المعنى وجزّءه.
- إنّ النّظريّة الأصليّة مكّنت من تخليص دراسة المفردات داخل المقولة من منوال الشّروط الضّروريّة والكافية، واستبدالها بالطّراز، وأسهمت إسهاما كبيرا في دراسة ظاهرة التّرادف بين المفردات داخل المقولة وتنظيمها.
- استطاعت النّظرية الموسّعة تدارك النّقائص التي كانت تعاني منها النّظرية الأصليّة، وخاصّة فيما يتعلّق بعجزها عن دراسة الاشتراك الدّلاليّ داخل المقولة.
- تمكّنت النّظريّة الموسّعة من توسيع العلاقات بين عناصر المقولة وحرّرتها من قيود التّشابه مع الطّراز، وقامت على التّأثيرات الطّرازية، وهذا ما سمح لها بدراسة المشترك الدّلالي دراسة أعمق وأوسع.

وما يمكن قوله ، كإجابة عن الإشكاليّة المطروحة، إنّ نظريّة الطّراز شكّلت ثورة حقيقة على علم الدلالة البنيوي والنظرية الكلاسيكية للمقولة المبنية على منوال الشّروط الضّرورية والكافية المنطقي، وإنّ لنظريّة الطّراز دورا كبيرا في دراسة المعنى وتوسيعه، داخل المقولة، سواء أكان مفردا أو مشتركا دلاليا، وذلك باعتمادها على التّشابه الأسريّ الذي أدّى إلى اعتماد الطّراز في دراسة المعنى في النظريّة الأصلية، والتشابهات الطّرازية في دراسة المعنى في إطار النّظرية الموسّعة.

وأهمّ توصية نقدّمها في ختام هذا البحث هي ضرورة الاهتمام بنظرية الطّراز بشقّيها الأصليّة والموسّعة ومحاولة تأصيلها في التّراث العربيّ القديم، الذي يزخر بالدّراسات الدلاليّة والبلاغية المشابهة لها، وتطبيقها في دراسة المعاني اللّغويّة العربيّة.

6. المصادر والمراجع:

1. الأزهر الزناد. (2010). نظريات لسانية عرفنية. الدار العربية للعلوم ناشرون، محمد علي للنشر، منشورات الاختلاف.
2. جورج كليبر. (2013). علم دلالة الأنموذج الفآت والمعنى المعجمي. ترجمة: ريتا خاطر. لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
3. عبد الجبار بن غربية. (2010). مدخل إلى النحو العرفاني. تونس: مسكلياني للنشر.
4. عبد الله صولة. (2001). أثر نظرية الطراز الأصلية في دراسة المعنى. حوليات الجامعة التونسية, العدد54. تونس.
5. عبد الله صولة. (2003). المعنى القاعدي في المشترك، مبادئ تعديده وطرائق انتشاره دراسة في نظرية الطّراز. مجلة المعجمية. العددان 18-19. تونس: جمعية المعجمية العربية.
6. عبد الله صولة. (2002). المقولة في نظرية الطراز الأصلية. حوليات الجامعة التونسية. العدد46. تونس.
7. عطية سليمان أحمد. (2014). الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية (النموذج الشبكي- البنية التصورية- النظرية العرفانية). مصر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.
8. لودفيك فتغنشتاين. (2007). تحقيقات فلسفية. ترجمة: عبد الرزاق بنور. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
9. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ابن منظور. لسان العرب. بيروت: دار صادر.
10. محمد الصالح البوعمراني. (2009). دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني, صفاقس: مكتبة علاء الدين.
11. منانة حمزة الصفاقصي. (2015). الدلالة العرفانية وتراجع دور التركيب، الإعراب في إنتاج الكلام و تأويله. مجلة اللسانيات العربية. العدد2. المملكة لاعربية السعودية: مركز الملك عبد الله بن العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية.

References :

1. al'azhar alzanad. (2010). nadariaat lisania earifania. addaar alearabia lileulum nashiruna, muhamad eali lilnashri, manshurat alaikhtilaf.
2. jorj kliber. (2013). ealm dalalat al'unmudhaj alfiat walmaenaa almuejami. tarjamat: rita khatir. lubnan: almunadamat alearabia liltarjamati.
3. eabd aljabaar bin gharbia. (2010). madkhal 'iilaa alnahw aleirfani. tunus: miskiliani lilnashr.
4. eabd allah soula. (2001). 'athar nadariat altiraz al'aslia fi dirasat almaenaa. hawliaat aljamiea atuwnusiati, aleudad 54. tunus.
5. eabd allah soula. (2003). almaenaa alqaeidi fi almushtaraki, mabadi taedodih watarayiq aintisharih dirasaton fi nadariat alttiraz. majalat almoejamia. aleadadan 18-19. tunis: jameiat almaejamia alearabia.
6. eabd allah soula. (2002). almaquwala fi nadariat altiraz al'aslia. hawliaat aljamiea atuwnusia. Aleudad 46. tunus.
7. etia sulayman 'ahmad. (2014). alaistieara alquorania fi daw' anadariat aleirfania (anumudhaj ashabaki- albinya atasawuria- anadariat aleirfania). misr: al'akadimia alhaditha lilkitaab aljamieii.
8. lodifing fitighinishtayn. (2007). tahqiqat falsafia. tarjamatu: eabd arazaaq binur. bayrut: almunadama alearabia liltarjama.
9. muhamad bin makram bin eali 'abu alfadl ibn mandor. lisan alearb. bayrut: dar sadir.
10. mohamad alsaalih albueimrani. (2009). dirasat nadaria watatbiqia fi eilm aldilala aleirfani, sfaqis: maktabat eala' adiyn.
11. manana hamza asfaqisi. (2015). aldalalat aleirfania wa tarajoe dawri atarkib, al'iierab fi 'iintaj alkalam w tawilihi. majalat allisaniaat alearabiati. aladad2. almamlaka alaearibiat asaeudia: markaz almalik eabd allah ben aleaziz alduwlii likhidmat allugha alearabia.